المسرح الموجه إلى الطفل

بقلم
أ/ محمد عبد الهادي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة بسكرة

الملخص

هذا المقال يعالج المسرح الموجه إلى الأطفال باعتبار المسرح أبو الفنون، لكونه يمثل أعلى درجات الوعي والسمو الثقافي، الأدبي، الاجتماعي والسياسي، ويمكن أن يسهم المسرح في توجيه الأطفال وتعليمهم وإرشادهم، وتزويدهم بخبرات جديدة هادفة، وذلك بتنمية تفكيرهم الإبداعي والابتكاري. ويناقش المقال أهم السمات الواجب مراعاتها في مسرحيات الأطفال، والأهداف المتوخاة منه، وكذا المضامين التي يتسنى لها تحقيق تلك الأهداف.

Résumé

Cet article résout (délit) le théâtre dirigé vers les enfants, considérant que le théâtre est le père des arts, puisqu'il représente le plus haut niveau de conscience et la suprématie culturelle, littéraire, social et politique, le théâtre peut participer à diriger les enfants, les éduquer, et les guider, et leurs fournir de nouvelles expériences objectives, et ceci en évoluant leurs réflexions créatifs et inventifs.

L'article fait le débat sur les plus importants aspects qu'il faudrait prendre en considération dans les pièces théâtrales des enfants et s'abstenir au buts voulus ainsi que les contenues qui les réalisent.

المقدمة:

هذا المقال يعالج المسرح الموجه إلى الأطفال باعتبار المسرح أبو الفنون، لكونه يمثل أعلى درجات الوعي والسمو الثقافي، الأدبي، الاجتماعي والسياسي، حيث يسجل أن الأمم المتطورة قد أولت اهتماما كبيرا لمسرح الطفل، لاهتمامها الجلي بهذه الشريحة من المجتمع، لكونها تمثل مستقبل الأمم والشعوب،وأن الكتابة المسرحية للأطفال ذات أهمية من جانب وحساسية من جانب آخر. لهذا يجب مراعاة قدرات الأطفال اللغوية والتعليمية والعمرية، وأن يكون هدف المسرح الأساسي رفد الأطفال وتعليمهم وإرشادهم، وتزويدهم بخبرات جديدة هادفة، وذلك بتنمية تفكيرهم الإبداعي والابتكاري.

سيكون التركيز في مسرح الطفل من حيث أهم السمات الواجب مراعاتها في مسرحيات الأطفال، ومن حيث الأهداف المتوخاة منه، ومن حيث المضامين التي يتسنى لها تحقيق تلك الأهداف.

يعد المسرح من أقرب الوسائط الثقافية وأحبها إلى نفس الطفل ومن أكثرها اتفاقا مع طريقته الخاصة في التفكير والرؤية(1)، والمسرح حسب " محمد عبد الله الشريف" وسيط من وسائط نقل الثقافة والأدب إلى الأطفال، وهو يغذي الأطفال فنيا وأدبيا ووجدانيا، حيث أن الأطفال يغلب عليهم الطابع الاندماجي، والمسرح بخصائصه التمثيلية يساعدهم على الاندماج، ويؤكد أن مسرح الأطفال يفوق وسائط أدب الأطفال الأخرى في تأثيره على الأطفال(2). ومن الأهمية الإشارة أنه لا بد من التفريق بين مسرح الأطفال ومسرح بالأطفال، ففي الأول يمثل الطفل دور المشاهد فقط، أما في الثاني فالطفل فيه مشارك وجزء أساسي من خلال التمثيل.

إن الكتابة المسرحية ذات خصوصية كبيرة، ويجب أن تكون نابعة من خلفية دراسية تخصصية أو معاناة خاصة ذات خبرة، إذا علمنا أن من

أساسيات عالم الأطفال، تمتعه بقدر كبير من الفطرية والعفوية والخيال والمثالية والخوف، وقلة الخبرة في التعامل مع واقعه(3).

ومسرح الأطفال في ضوء ذلك وسيط مركب العناصر، يتوجه لمرحلة عمرية طويلة ومتدرجة من عمر الإنسان، ويتمايز مسرح الطفل عن الوسائط الثقافية الإعلامية الموازية في القدرة على مخاطبة عقل الطفل ووجدانه في أشكال فنية متنوعة لا تتوفر عناصره في الوسائط الأخرى كالكتاب والمجلة والإذاعة والتلفزة (4).

وهناك من رأى أهمية ربط المسرح بالإسلام لأنه بذلك يحترم التقاليد العريقة باعتبارها ميراثا عالميا وتراثا مشتركا، ويؤمن بأن لكل جنس أدبي مواصفاته الخاصة وسماته العامة. وأن مثل هذه المواصفات أو السمات قابلة للتطوير والتجديد، دون قيود صارمة، بحيث لا تخرج عن طبيعة جنسها وتقاليده الراسخة، وهو بذلك وسيلة لأداء وظيفة أو رسالة سامية ترتبط بمصير الإنسان وحياته فهو يحقق السعادة والأمل والكرامة والحرية له ولعالمه(5).

ومن أهم السمات التي يجب أن تراعيها مسرحيات الأطفال:

1. استخدام لغة سهلة يفهمها الأطفال.
2. بساطة الفكرة ووضوحها.
3. أسلوب العرض يجب أن يتسم بالتشويق والإبهار.
4. يجب أن تحتوي على مغزى تربوي(6).

وللمسرح أهداف عديدة منها التربوي والتعليمي والثقافي، فكثيرا ما يلجأ المربون لنشر معلومة أو لتقديم نظريات أخلاقية، فإذا كان الطفل يتقمص شخصية بطل القصص التي يسمعها، فبطريقة الإيحاء والاستهواء والتقمص والمشاركة الوجدانية يمكن أن ندعم فيه القدوة الحسنة(7).

ولقد حصر "عبد الفتاح أبو معال" أهداف مسرح الأطفال في:

1. تحسين نطق الأطفال.
2. تعريفهم الجرأة الأدبية.
3. زيادة معارفهم اللغوية والثقافية.
4. توسيع مداركهم وتنمية أفكارهم، وإعطائهم مجموعة من القيم الخلقية والسلوكية التي تفيدهم في الحياة.
5. تعويدهم على المشاركة والعمل الجماعي والتعاون[8].

أما " أحسن تليلاني" فحدد تلك الأهداف فيما يلي :

1. بناء شخصية الطفل، بإكسابه قدرات على الملاحظة والتحاليل والتراكيب والاستنتاج وتنمية روح الفضول وحب المعرفة والاستكشاف لديه.

2. بث تعاليم اجتماعية وأخلاقية تنسجم مع العمق الحضاري لشخصية الطفل، فضلا عن القيم السامية بطريقة فنية إيجابية بعيدا عن الوعظ والإرشاد لتأهيل الطفل.

3. التسلية والترفيه عن النفس، بإثارة المواقف المسلية والمضحكة، فللضحك دور هام جدا في تحقيق التوازن النفسي[9].

ومن خلال إطلالة متأنية نلاحظ بجلاء ووضوح وضعية المسرح عموما ومسرح الطفل على وجه الخصوص... والتراجع الكبير الذي اعتراه. ومرد ذلك إلى عدم وعي المؤسسات والناس برسالة المسرح باعتباره أبو الفنون والذي يمثل أحد الأوجه الحضارية لأية أمة، مع التأكيد على أن تخلي الدولة عن رعاية المسرح وتمويله أحد الأسباب الرئيسية لهذا التراجع، وهذا الواقع دفع " د. نادر القنة" إلى التساؤل عن السبيل للنهوض بمسرح الطفل في

وطننا العربي والرقي به من أجل تحقيق الثبات له في مواجهة التحديات التي تكاد تعصف به، ثباتا يدفعه إلى مزيد من التطور والديمومة والتفاعل مع هموم الأطفال وقضاياهم؟.. وما السبيل إلى النجاة بهذا المسرح من شرك التجارية السائدة في الساحة الفنية والثقافية العربية التي تفرض وصاياها على هذا المسرح ويضغط عليه بكل ثقة وقساوة لتخيله من وضعيته الثقافية الفكرية التنويرية النموذجية إلى مؤسسة اقتصادية ربحية تقوم على الاستثمار المادي أولا وأخيرا [10]. وإضافة إلى ذلك تلك الجهالة التي تسيطر على تعلم الفنون المسرحية دون الرجوع إلى المصادر الأساسية والفكرية من ذلك[11].

إن السبيل للخروج بمسرح الطفل مما هو فيه محتاج لتدخل جاد من المؤسسات الثقافية التي تمثل الدولة، باتخاذ قرار جريء يمتلك القوة والإمكانيات مما يجعله قادرا على إعادة الأمور إلى نصابها في هذا المجال المهم لبعثه من جديد.

ومن الاقتراحات المهمة في مجال مسرح الطفل إيجاد المسرح المتنقل للأطفال[12] وبذلك يحدث التواصل مع أكثرية الأطفال في المدن والأرياف، وحث أدباء الطفولة على الإنتاج الأدبي الذي يمزج بين الفنون الأدبية مثل المزاوجة بين القصة والشعر الذي يتماشى مع مضامين القصة، أو المزاوجة بين فيلم الكرتون للأطفال أو المسرحية مع الأناشيد التي تعزز انتباه الطفل أكثر[13]، فالمسرح مطالب بإيجاد التمثيليات التي يجب على الأطفال فيها أن يكونوا مخلصين في تقمص ما يستند إليهم من أدوار، إلى جانب القدر الكبير من الخيال وحسن التعبير والإدلاء المتميز[14].

إن مسرح الطفل – كما أسلفنا – هو المسرح الذي يقدم للأطفال بصرف النظر عما يقدمه لهم، وهو مسرح يحدد هدفه أساسا في الفرجة مع ما تحمله من خبرة ومعلومات، ومن نافلة القول التأكيد على أهمية التعليم بواسطة المسرح إذ يحقق فائدة أكبر لدى الطفل تفوق تلك التي تتم وفق طرائق

التدريس المتعارف عليها[15].وفي ضوء ذلك لاحظ "د. عماد الدين خليل" أن المسرح المعاصر على اختلاف اتجاهاته، ما هو إلا تجسيد في القيم والمؤثرات التي تعمل عملها في حضارة القرن وفي تجارب الإنسانية في شتى أبعادها المختلفة[16]، ويشترط في مسرح الطفل الجاد أن يؤهله للدخول في صراعات المجتمع بكل استعداد بدني وعاطفي وفكري وعقلي، وبذلك نفهم لماذا تركز الدول المتقدمة على مسرح الطفل من أجل خلق تقاليد مسرحية عقلانية[17].

ومن الأهمية بمكان التفكير العلمي الجدي في إنشاء فضاء خاص بمسرح الطفل، وهذا ما أكدته توصيات مهرجان المسرح المحترف في ولاية باتنة (الجزائر) 1994م، وكذلك مهرجان ولاية وهران (الجزائر) 1996م، وعلى الوزارات ذات الاهتمام (التربية والتعليم والثقافة) أن تدرك أهمية المسرح والأدب التمثيلي الحر في تربية الأطفال، فتدخلهما ضمن مناهج التعليم حتى تكون جمهورا للمسرح، وحتى يصبح المسرح جهازا أصيلا واسع الانتشار من أجهزة التربية والتعليم في بلادنا[18]، وإن خشبة المسرح الجاد تحول الأشياء والأجساد الواقفة عليها وتضفي عليها قوة دلالية كبيرة تفتقدها هذه الأشياء والأجساد التي تلعب دور العلامات المسرحية على خشبة المسرح[19].والغرض من إنشاء المسرح هو عرض مشكلات اجتماعية على الجمهور، وفي غالب الروايات تحل هذه المشكلات بطريقة رمزية مسلية هادفة[20] ويبقى هذا المجال بحاجة إلى جهد ومثابرة، والمزيد من الثقافة والوعي والإطلاع المستمر على واقع المسرح وآخر ما وصل إليه، والولوج إلى عالم الطفل يبقى معادلة تحتم تعلم تقنيات عالية، تستقى من علوم مضبوطة، وتتم غبر ميكريزمات يبرز من خلالها الفنان موهبته الخاصة، بعيدا عن التهريج الخالي من أدنى القيم التربوية والوسائل النبيلة الهادفة.[21] وإذا لم يؤدِّ المسرح الرسالة المنوطة به كإحدى الوسائل الثقافية الهادفة، في السمو بذوق وأحاسيس ومشاعر البشر سيبقى على هامش الحياة البشرية.

والواقع خير مثال على ذلك. ناهيك عن إدخاله السرور والبهجة والوعي لدى الطفل، مما يؤثر إيجابا عليه وعلى محيطه، وهو أداة متميزة للتربية الثقافية والتعليمية للطفل، تخلق فيه محبة الأسرة والمجتمع، والسعي الحثيث نحو الأفضل ضمن إطاره الاجتماعي والإنساني.

الخاتمة:

من خلال ما سبق ننتهي إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في الآتي ذكره (تتمثل في أهمية المسرح ودوره في حياة الطفل)

1. تنمية الجانب المعرفي للطفل، وصقل مهاراته والترويح عنه.
2. الارتباط بالمجتمع والإرشاد والتوجيه.
3. زيادة المحصول اللغوي والعلمي والتاريخي للطفل.
4. التسلية عن النفس بطريقة تنسجم مع التربية الحديثة.
5. إسهام المسرح في تهذيب وتعليم مكارم الأخلاق لدى الأطفال.
6. بث روح التعاون وحب الوطن والتفاني في الدفاع عنه.
7. الرقي بذوق الأطفال ومشاعرهم وعواطفهم.

ونخلص إلى أن تلك النتائج لن تتحقق ما لم يكن المسرح الموجه للطفل معروض بأسلوب واضح، وأفكار بسيطة، ولغة تتناسب مع هذا الطفل.

الهوامش:

1. أحمد نجيب : "البعد القومي في ثقافة الطفل العربيَ "(ندوة ثقافة الطفل العربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1992.ص 50.
2. محمد عبد الله الشريف : "قراءات الأطفال "، المجلة العربية للمعلومات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس1993م. م14 ص 214.
3. مبارك الخاطر: " الكتاب للطفل في العالم العربي إلى اين"، المجلة العربية، الرياض، يونيو 2000.ع 278 ص 59.
4. د. أحمد زلط : أدب الطفل العربي دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية1999.ص 214.

5. د. نجيب الكيلاني : نحو مسرح إسلامي، دار ابن حزم، بيروت،1990. ص17.
6. محمد حامد أبو الخير : مسرح الطفل،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م. ص13.
7. د. محمد مبارك الصوري : مسرح الطفل وأثره في تكوين القيم والاتجاهات، جامعة الكويت، الكويت 1998م.ص13.عن عواطف محمد، مفاهيم التعبير والتواصل في مسرح الطفل، القاهرة 1990.ص3.
8. عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، دار الشروق، الأردن 2000م. ص 130، 131
9. احسن تلاني: " مساءلات في مسرح الطفل "، الشروق اليومي، الجزائر، 2002م. ع 198، ص 14، وينظر ندوة ثقافة الطفل ص224 وما بعدها.
10. د. نادر القنة : " عواطف البدر ومسرح الطفل في الكويت- علاقة جدلية-"، البيان، رابطة أدباء الكويت، الكويت، مارس 1999م.ع 244 ص26.
11. كمال الدين عيد:" علوم حديثة في فن التمثيل "، قوافل، النادي الأدبي بالرياض، السعودية، 1997م.ع8، ص11.
12. ينظر محمد حامد أبو الخير : مسرح الطفل، ص 147 وما بعدها.
13. لطيفة عثماني: "الأدبية الإسلامية وأدب الأطفال"، المشكاة، وجده،المغرب، 2000م. م9 ع 33، ص14.
14. محمد وطاس : أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م. ص73.
15. يوسف الطالبي : " المسرح والطفل واستراتيجية اللعب" البيان، رابطة الأدباء في الكويت، الكويت: أفريل 2003. ع 393ص24.
16. د.عماد الدين خليل: النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1984م. ص177.
17. د.مصطفى رمضاني: "خصائص مسرح الطفل ومكوناته"، المشكاة، وجدة،المغرب، 1994م.ع 18، ص47.
18. عبد الحميد رابية: "حول أزمة المسرح الجزائري الواقع والتوصيات"، جريدة الأحرار، الجزائر، 11جوان 1998م. ع 89، ص18.
19. بتر بوجاتيرف: "مدخل إلى السيميوطيقيا"،مقالات مترجم ودراسات، دار إلياس العصرية،القاهرة 1997م.ج2 ص79.
20. د.محمد عبد الكريم الجزائري: الثقافة ومآسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، د.ت ص54.
21. مراد. ع: مسيرة فنان"حديدوان انطفأ للأبد"،جريدة الأحرار، الجزائر، 17 أوت 1998م. ع144 ص 13.